تقرير

شوقي عشقوتي

بوتين يسجّل نصرًا ديبلوماسيًا وترامب يطمح إلى "نوبل للسلام" قمّة ألاسكا التاريخيّة: بداية نهاية حرب أوكرانيا

القمة التي جمعت الرئيسين الاميركي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين في "الاسكا" اكتسبت اهمية سياسية ورمزية. هذه القمة عقدت في ولاية الاسكا الاميركية، وهي الولاية التي باعتها الامبراطورية الروسية للولايات المتحدة حين كان القيصر الكسندر الثاني يرزح تحت ديون الحرب

اللقاء كان الاول بين الرئيسين الاميركي والروسي منذ العام 2019، والاهم ان معيار النجاح او الفشل في هذه القمة سينعكس على مسار الحرب الروسية ـ الاوكرانية التي مر عليها ثلاثة اعوام ونصف عام. فإما تكون هذه القمة بداية لخفض التصعيد وصولا الى وقف النار، واما تسلك الاحداث مسارا اكثر حدة.

اضافة الى اهميتها ومعانيها السياسية، ينظر الى قمة الاسكا على انها "قمة تاريخية"، وتصنف في فئة القمم التي تشكل نقطة تحول في التاريخ وفي الخارطة الجيوسياسية. لكن هذا "التصنيف التاريخي" يختلف بين الاميركيين والاوروبيين:

- الاميركيون في فريق ترامب يشبهون قمة الاسكا بـ"قمة يالطا" التي انعقدت في ختام الحرب العالمية الثانية، وضمت قادة اميركا (روزفلت) وروسيا (ستالين) وبريطانيا (تشرشل)، ووضعت اسس اوروبا ما بعد الحرب.

- الاوروبيون، القلقون من قمة ترد الاعتبار الى بوتين وتهديه نصرا مجانيا، يشبهون قمة الاسكا بقمة ميونيخ عام 1938 عشية الحرب العالمية الثانية. حينها، اعتقد قادة فرنسا وايطاليا وبريطانيا ان ارضاء ادولف هتلر ببعض من تشيكوسلوفاكيا يلبي طموحاته ويتيح ابرام صفقة سلم معه. لكن هتلر فسر العرض الاوروبي ضعفا، مما شجعه على خوض مغامرة اجتياح اوروبا واطلاق الحرب العالمية الثانية بعد 6 اشهر فقط على ابرام اتفاقيات ميونيخ.

الرئيس الاميركي متحمس لمهمة انهاء حرب اوكرانيا. اولا، انفاذا لوعد قطعه خلال حملته الانتخابية بإنهاء الحرب في اوكرانيا. ثانيا، لوقف التمويل الاميركي للحرب بمليارات الدولارات. اما اذا اراد الاوروبيون شراء الاسلحة الاميركية لإرسالها الى اوكرانيا، فلا مانع لدى ترامب. ثالثا، لأن الرجل يسعى الى جائزة نوبل للسلام، ويريد ان يتوج انجازاته لهذا العام بالانجاز الاهم في اوكرانيا بعدما تأخر وتعذر عليه وقف الحرب في غزة. آخر ما انجزه ترامب كان ابرام اتفاق سلام بين ارمينيا وأذربيجان، وقبل ذلك وقف حرب مفاجئة بين باكستان والهند وبين كمبوديا وتايلاند، اضافة الى مساهمة ترامب من طريق القوة بوقف حرب الـ12 يوما بين اسرائيل وايران.

ولأن بوتين يعرف تلهف ترامب الى انجاز رئيسي في السياسة الخارجية، فقد فضل الانحناء، ولو مرحليا، امام عاصفة الضغوط الاميركية. ليس هذا فحسب، بل يأمل في استمالة ترامب الى جانبه وابعاده مجددا عن الرئيس الاوكراني زيلينسكي والحلفاء الاوروبيين. بوتين ذهب الى القمة على امل الفوز بمكسب جيوسياسي من ترامب، قد لا يتوافر ولو استمرت الحرب لسنوات. من المرجح انه كرر في اللقاء مع ترامب مطالبه ذاتها: اعتبار شرق اوكرانيا جزءا من روسيا، منع انضمام اوكرانيا الى حلف شمال الاطلسي (الناتو)، وقف توسع الحلف في اراضي الاتحاد السوفياتي السابق، تقييد حجم الجيش الاوكراني، وضمان ان تكون حكومة اوكرانيا ودودة تجاه موسكو. من المحتمل ان يستخدم بوتين القمة تكتيكا للمماطلة، اضافة الى محاولة تحسين العلاقات المتوترة مع واشنطن.

على نطاق اوسع، تنسجم القمة مع رؤية بوتين للعالم، التي ترى ان القوى العظمى يجب ان تحدد مناطق نفوذها، تماما كما اجتمع ستالين مع روزفلت وتشرشل في يالطا عام 1945 لتحديد معالم اوروبا بعد الحرب.

ان عقد قمة بين القائدين الروسي والاميركي يعكس تغيرا ملحوظا في السياسة الاميركية. فقد عامل الغرب بوتين، الى حد كبير، بوصفه قائدا منبوذا منذ غزوه اوكرانيا عام 2022، وهو الغزو الذي تسبب في مقتل مئات الالاف وخلف دمارا واسعا في كلا البلدين. يرى الكرملين مجرد استعداد رئيس اميركي للقاء ببوتين نصرا ديبلوماسيا، وان مصلحة بوتين تكمن في اعطاء شيء ما لترامب لإبقائه

الى جانبه، ولتحميل اوكرانيا مسؤولية الفشل اذا اصرت على رفض التنازل عن بعض اراضيها. التصور الارجح ان يقبل بوتين سحب قواته من مساحات محددة في مقاطعتي زابوريجيا وخيرسون في مقابل سيطرته التامة على لوغانسك ودونيتسك، مما سيوفر لترامب امكان الحديث عن تبادل للاراضي.

القمة لم تنتج اتفاقا ينهي الحرب في اوكرانيا، ومع ذلك يسعى ترامب الى تسويقها كخطوة على طريق صياغة معادلة جديدة: شراكة اميركية - روسية تعيد رسم التوازنات وتخدم اجندة "اميركا اولا". صحيح ان روسيا المنهكة بالحرب والمعزولة دوليا قد تكتفي بمكسب رمزي هو الجلوس على قدم المساواة مع واشنطن، الا ان ترامب هو من يراهن على عائدات أكبر: الحد من صعود الصين، توسيع نفوذ الولايات المتحدة، وجني فوائد تجارية واستثمارية.

غير ان هذا الطموح قد تكون له ارتدادات عكسية. فالتقارب مع موسكو قد يثير قلق اوروبا الشرقية التي ترى في روسيا تهديدا وجوديا، ويضعف الثقة داخل الناتو. وقد تفسر استمالة بوتين، الذي يواجه عزلة غير مسبوقة، كاسترضاء على حساب المبادئ التي طالما دافعت عنها واشنطن. ما بين الطموح والتهور، يبقى رهان ترامب مقامرة كبرى: اما ان ينجح في اعادة تموضع استراتيجي يعيد للولايات المتحدة زمام المبادرة، او ان يفتح الباب لشرخ جديد في التحالفات الغربية ينعكس سلبا على النظام الدولي. اي تسوية تقوم على "الارض مقابل السلام" قد تفتح جرحا جديدا في الناتو وتضعف وحدة اوروبا.

لم تكن قمة الاسكا نقطة النهاية للنزاع الاوكراني، لكنها ربما كانت بداية لرهان أكبر: هل يمكن لشراكة اميركية ـ روسية ان تعيد رسم خارطة العالم، خصوصا ان ترامب لا يزال في بداية ولايته الثانية، ام هي مقامرة جديدة قد تفتح صدعا أعمق في النظام الدولي؟

في الواقع، تلقى الاوروبيون بكثير من الريبة والقلق خبر اللقاء بين ترامب وبوتين، واسباب ومصادر القلق كثيرة:

- اولا: قمة الاسكا ثنائية تبحث في مصير ومستقبل اوكرانيا في غياب الاوكرانيين، وايضا في غياب الاوروبيين المعنيين بهذه الحرب التي لها انعكاس مباشر على مجمل امن اوروبا ومستقبلها.

- ثانيا: الثقة الاوروبية شبه منعدمة بالرئيس ترامب وما قد يقرره لجهة اعطاء بوتين ما يريد وتلبية شروطه، خصوصا لجهة الاعتراف الرسمي من كييف بضم اربع مناطق اوكرانية. وجاء تصريح ترامب بشأن تبادل للاراضي ليعزز قلق اوكرانيا واوروبا، خصوصا ان اوكرانيا لم تعد تسيطر على اراض روسية للمقايضة بها.

- ثالثا: يرى الاوروبيون انه لا يمكن اجراء مفاوضات جادة الا في سياق وقف لاطلاق النار، وعلى اساس المبدأ القائل بأن الحدود الدولية لا يجوز تغييرها بالقوة، وينبغي ان يكون خط التماس الحالي هو نقطة الانطلاق لأي مفاوضات. كذلك يتمسك الاوروبيون بشرط توفير ضمانات امنية صلبة لكييف من طريق نشر قوات اوروبية على الاراضي الاوكرانية في اطار اي اتفاق لانهاء النزاع. غير ان هناك صعوبتين رئيسيتين، الاولى: رفض موسكو مرابطة قوات اوروبية على حدودها. والثانية: تمسك كييف وكثير من العواصم الاوروبية التي شكلت، بقيادة بريطانية - فرنسية، ما سمي "تحالف الراغبين" المستعدين لتوفير وحدات عسكرية لهذه المهمة، بالحصول على ضمانات اميركية لنشر هذه القوة. ان واشنطن لم تقل مطلقا انها مستعدة لتوفير هذه الحماية، مخافة ان تفضي الى مواجهة مباشرة مع القوات الروسية. الاوروبيون، الذين اسرعوا الى البيت الابيض دعما للرئيس الاوكراني زيلينسكي، يدركون ان غالبية الاوراق موجودة اليوم في حوزة الرئيس الاميركي. من هنا، يأتي حرصهم على كتم تحفظاتهم الكثيرة عن مبادرته بدعوة فلاديمير بوتين الى ولاية الاسكا. يريد الاوروبيون ركوب القطار الاميركي الذي انطلق بقوة لتحقيق الهدف النهائي، الذي هو وضع حد للحرب الدائرة منذ 42 شهرا بين روسيا واوكرانيا، وردم الهوة التي تفصل مقاربتهم عن مقاربة ترامب.

ما حصل في الاسكا جاء مثابة خيبة امل بالنسبة اليهم، اذ ان ترامب تبنى حرفيا مقاربة بوتين وسرديته. وكتب، بعد عودته الى واشنطن، على منصته "تروث سوشال"، ما حرفيته: "قرر الجميع ان أفضل طريقة لانهاء الحرب المروعة بين روسيا واوكرانيا، هي الذهاب مباشرة الى اتفاق سلام من شأنه ان ينهي الحرب، وليس مجرد اتفاق لوقف اطلاق النار لا يصمد في كثير من الاحيان".

يذكر الاوروبيون بأن بوتين عارض دوما وقفا لإطلاق النار، سبق لترامب ان طلبه قبل اشهر عدة، ووافقت عليه كييف. كذلك يصر الرئيس الروسي على معالجة "جذور الحرب"، وعلى المطالب التي يتعين على كييف قبولها من اجل التوصل الى السلام، منها حياد اوكرانيا، الامتناع عن المطالبة بالانضمام للحلف الاطلسي (الناتو)، رفض وجود قوات اوروبية - اطلسية على اراضيها، تحجيم الجيش الاوكراني، توقف المساعدات العسكرية الغربية، فضلا عن قبول كييف التنازل عن شبه جزيرة القرم و4 مناطق شرق وجنوب البلاد تحتل القوات الروسية غالبية اراضيها، وسبق لموسكو ان ضمتها رسميا عام 2022. كذلك يريد بوتين كذلك بحث "هندسة امنية جديدة في اوروبا".